SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.20 NO. 4 2021
DOI: 10.51984/JOHS.V20I4.2275

جامعة سبها للعلوم الإنسانية مجلة
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

من معالم المنهج التربوي في القرآن الكريم

عبدالله امحمد علي جمعة

قسم الدِّراسات الإسلامية، كلية التربية براك، جامعة سبها، ليبيا

الملخص

هدفت الدراسة إلى بيان أهمية المنهج التربوي في القرآن الكريم، وأنه المنهج الوحيد الذي يستطيع أن يواكب تطور الحياة البشرية، من بداية حياتها وحتى نهايتها، لأنه منهج رباني يعتمد على أسسوخصائص وأساليب ربانية، حيث يمكن بواسطته بناء الأمة بناءً راسخًا قويًّا؛ لأنه ينمِّي سلوك الفرد ويرقيه نحو القيم العليا، ويساعده على اكتساب أنماط السلوك الذي يجب عليه أن يسلكه في المواقف الحياتية المختلفة، كما يسهم في تنمية الأفراد ويعمل على تطوير مهاراتهم العلمية والعملية،ويتعهَّدالمجتمع لتنشئة الأجيال الجديدة عليه.

الكلمات المفتاحية:

التربية
الخصائص
الأساليب
الأسس
المنهج

Some Of The Features Of The Educational Curriculum In The Holy Qur'an

Abdullah Muhammed Ali Jummah

Department of Islamic Studies, Faculty of Education Brak, Sebha University, Libya

ABSTRACT

The study aimed to demonstrate the importance of the educational curriculum in the Holy Qur'an, and that it is the only curriculum that can keep pace with the development of human life, from the beginning of its life to its end, because it is a divine approach that relies on divine foundations, characteristics and methods, through which the nation can be built in a solid and strong building; Because it develops the behavior of the individual and promotes it towards higher values, and helps him to acquire the patterns of behavior that he must behave in various life situations. It also contributes to the development of individuals and works to develop their scientific and practical skills, so that the society raise new generations on it.

Keywords:

Education
Characteristics
Methods
Foundations
Curriculum.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نزَّل القرآن الكريم ليهدي به من اتبع رضوانه سبل السلام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أدّبه ربه فأحسن تأديبوعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدينوسلّم تسليماً كثيراً.

تتباين الدراسات التربوية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والنفسية، والتربوية التطبيقية في ميادين التربية والتعليم وذلك لتباين الآراء واختلاف وجهات النظر حول المناهج التربوية المطروحة، والمنهج التربوي في القرآن الكريم هو الطريق الوحيد الواضح لتطابق هذه الآراء وتلك الاختلافات، ومن هنا جاءت فكرة البحث لتوضيح هذا المنهج الفريد.

أسباب اختيار الموضوع: هو ما يتسم به الواقع الذي تعيشه البشرية اليوم في انعدام ضوابط القيم التربوية والأخلاقية، وإباحة كل محظور بدافع حرية التعبير والرأي، والابتعاد عن المنهج الرَّباني الذي يوجب علينا أن نظهر للعالم أن القرآن الكريم قد تناول في طياته أهمَّ الأسس والخصائص والأساليب التربوية في تقييم الأخلاق والسلوك أفراداً وجماعات، من خلال دعوت الأنبياء إلى أقوامهم، وأن كلام الله- تعالى- الخالد قد تمثل في خطابه العلوي لعموم بني البشر أعظم الطرق وأنبل الأمثلة في تزكية النفس البشرية، وأنه في خطابه هذا نال قصب السبق على كل الخطابات في تقديم المنهج الكامل للقضاء على مظاهر الانحراف والتخلُّف الحضاري في مسيرة الحياة.

أهمية الموضوع: يعتبر القرآن الكريم رسالة خالدة لهداية العالمين وإصلاحهم، ودستور فضائل وأخلاق فشمل في خطابه الإنسانيةَ أجمع بدعوتها إلى أقوم طريق، ويتميز المنهج القرآني بأرقى أساليب التربية كما اختصّ بأرفع خصائصها؛ إذ هو الحق إلى الخلقورسالة الرب إلى المربّين، ونداء الله إلى العالمين ويكتسب الأسلوب التربوي في القرآن الكريم أهميته في استمالة القلوب وتهذيبها.

أهداف البحث:العمل على الخروج بتصور واضح يؤسس مفهوم أوسع

*Corresponding author:
E-mail addresses: abd.jummah@sebhau.edu.ly
Article History : Received 27 April 2021 - Received in revised form 25 September 2021 - Accepted 17 November 2021

لتحسين أداة الدراسات التربوية وبيان معالم المنهج القرآني في التربية وتوضيحها وضرورة التربية القرآنية في عصر العولمة والفلسفات المادية وضرورة التربية الإيمانية والروحية للإنسان لحمايته من التفكك الاجتماعي والانحلال الأخلاقي والفراغ الروحي، وإبراز الأسس التربوية التي شملها القرآن الكريم والوقوف على الخصائص التي تميّز بها هذا المنهج، والأساليب التربوية وبيان دورها في إصلاح البشرية وهدايتها، وإظهار دور القصص القرآني في علاج المشاكل الاجتماعية للأمم والشعوب من خلال تقديم الصور المثلى لهداية البشر عبر التاريخ وأنه المنهج الوحيد لإخراج البشرية من ظلمات الشك إلى نور اليقين.

إشكالية البحث: تتمثل في عزوف الكثير من الناس عن تدبُّر آيات القرآن، والوقوف عند ظاهرة الحفظ والتفسير، وإتقان التجويد، وانتهاج كثير من علماء التربية من المسلمينمناهج غربية قديمة وحديثة مستمدَّة من الفكر الإنساني الذي كثيراً ما يعتريه النقص والخطأ والنسيان والتعصُّب، وقد أُنزِل القرآن للتدبُّر والتفكُّر في آياته للوقوف على أسرارها، ووجوه إعجازها، وكم هي حاجة الأمة لاستشعار هذه المعاني في تعامُلها مع القرآن، تدُّبراً وتأمُّلاً، للوقوف على حكمه مصداقاً لقوله- تعالى-:﴿...وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ النساء، الآية81

منهج البحث: يعتمد الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي المعتمد على التحليل لاستقراء الظاهرة موضوع الدراسة لتأصيل جملةً من القضايا التربوية ودراستها ومناقشتها وتحليلها لإصدار الأحكام العامَّة عليها.

خطة البحث: تتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث فالمقدمة بها أسباب اختيار الموضوع والأهمية والأهداف والإشكالية والمنهج ثم تمهيد به تعريف المنهج والتربية لغة واصطلاحاً.

المبحث الأول: الأسس التربوية التي يعتمدها القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الخصائص التربوية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أهم الأساليب التربوية في المنهج القرآني.

المبحث الرابع: أمثلة تطبيقية لمواقف تربوية مميزة من سيرة الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها يتم استخلاص النتائج.

التمهيد.

تعريف المنهج في اللغةً مأخوذ من مادة نهج أي سلك، ومنه النهج الذي يرادف معاني: السبيل، والصراط، والطريق فهو الطريق البيّن الواضح، ونهج الأمروأنهج وَضَحَ، ومنهج الطريق: وضّحه، والمنهاج: كالمنهج الطريق الواضح، كما ورد في القرآن الكريم﴿...لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ المائدة الآية 50، وفي حديث العباس: لم يمت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى تركَكم على طريقٍ ناهجةٍ أي واضحةٍ بيّنةٍ"[1]،لكل منكم أيها الناس جعلنا هذا الدينالخالص فاتبعوه"[2]. يتضح من هذا التعريف أن المنهج هو الطريق الواضح والأسلوب المتبع.

واصطلاحاً: هو أسلوب وطريقة في التعامُل مع الموضوعات عرضاً وتحليلاً ومناقشةً، تتنوُّع بحسب طبيعة الموضوع فيكون منهجاً دينياً، أو اجتماعياً، أو نفسياً، أو علمياً، أو فلسفياً، وقد يكون شكلياً، أو موضوعياً، أو ذاتياً بالنظر إلى القائم به.

فأهمية المنهج في القرآن الكريم هي تحقيق شرع الله- تعالى- حيث يسعى لبناء الشخصيةالإنسانية في جميع جوانها، الروحية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية والجسمية؛ لأنه خَلق الإنسان لعبادته، وبيّن له الحلال والحرام، والخير والشر، والجنة والنار، يقول- سبحانه-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ...﴾ الذاريات، الآية 56

كما بيَّن الدَلالة على وجود الله-تعالى- ووحدانيته، كما في قوله- سبحانه- في شأن إبراهيم-عليه الصلاة والسلام- وقومه:﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾الأنعام:الآية 76]

تعريف التربية لغة: وردت مشتقات الفعل(رَبَّى) ومصدره(تربية)، ومضارعه (يُرَبِّي) في قولهم: رَبَّى الوالد ابنه أي هذَّبه، ونمّى قواه الجسمية والعقلية والخلقية، كي تبلغ كمالها، وهي مشتقة من كلمة الرب، أي المربّي والسيد والمُنعِم، وهذا الاسم لا يطلق غير مضاف إلا على الله- سبحانه وتعالى- بينما إذا أطلق على غيره فإنه يقال: ربُّ العائلة، ورب الدار والأصل في كلمة الربّ أن معناها التربية وتعني بلوغ الكمال في الشيء بالتدرُّج[3] وتجتمع كلها على المسيرة العملية التربوية من أنشطة الإصلاح والأصل في كلمة(الرب) أن معناها التربية جاء ذلك في القرآن الكريم:﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾الإسراء الآية 24.

وهذا الإصلاح قد لا يقتضي الزيادة وإنما التعديل والتصحيح، ورَبَا الشيء يربو رُبُوّاً، ورَبَا بمعنى زاد ونما، نشأ وترعرع، وربَّيت القوم: أي كنت فوقهم والرَبَّاني من الرب بمعنى التربية والرَبّاني: الراسخ في العلم الذي يطلب بعلمه وجه الله-تعالى- كما يقول-عز وجل-:﴿...وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شهداء﴾المائدة الآية 46ويعود مصطلح التربية إلى ثلاثة أصول:

الأصل الأول: من(رَبَا، يَرْبُو) بمعنى الزيادة والنماء والارتفاع ومنه قوله- تعالى-:﴿...لِيَرْبُواْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ...﴾ الروم الآية:38.

الأصل الثاني: من(ربَّى، يُرَبِّي) يأتي الفعل مضعَّفاً متضمناً معنى التدرج في النشأة والتعهُّد المستمر بالرعاية، يقول- عليه الصلاة والسلام-: "لا يتصدَّق أحد بتمرةٍ من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربّيها كما يُرَبّي أحدكم فُلوّه أو قلوصه، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم"[4].

الأصل الثالث:(ربَّى، يربُّ) إذا أصلحه وتولَّى أمره، وساسه وأحسن القيام عليه، ورعاه ووليه حتى يفارق الطفولة يقول- صلى الله عليه وسلم:(...هل لك عليه من نعمة يَرُبُّها)[5]. يتضح من هذه الأصول الثلاث؛ أن أصل التربية هو الزيادة في سلوك الفرد وأخلاقه، من شأنها تقوية الصلة بين الإنسان وربهلكي يكون عضواً فاعلاً في أسرته ومجتمعه، ولم يترك القرآن الكريم هذه الأصول بل تعهَّدها بالرعاية والمتابعة فأوصى بتربية الأولاد، بقوله:- تعالى﴿يَبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلاَ تُصَاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مَن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾لقمان: الآيات 16- 17-18. وأمر بالإحسان إلى الوالدين بقوله:﴿...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ الإسراء الآية 23]

وفي الاصطلاح: تعدَّدت[6] تعريفات العلماء تبعاً للجانب الذي يرتكز عليه التعريف فتكون بمفهومها العام على أنها إنشاء الشيء مرحلة بعد مرحلة وصولاً إلى حدّ التمام، وتكون الوسيلة الوحيدة لإعداد النشء للدين والدنيا في آن واحد وتكوينه عقلياً وخلقياً، وجعله قادراً على اكتساب صناعة تناسب ميوله وطبيعته وتمكنه من كسب عيشه، وأن التربية لا تستقيم إلا بالتعليم.

وأنها العناية والرعاية التي تُوجَّه للفرد ابتداء من مراحل العمر الدنيا، وتستهدف إكسابه قواعد السلوك القويم، فهي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى

حدِّ التمام؛ فالمفهوم العام الذي كان سائداً للتربية قديماً ينحصر في كونها وسيلةً لتحصيل المعرفة، ولكن علماء اليوم يرون أن التربية هي تلك العملية التي عن طريقها تتمَّ تنمية جوانب الشخصية الإنسانية في مستوياتها المختلفة مستوى الوعي والإدراك المعرفي، والمستوى العاطفي والوجداني، الذي يشتمل على الميول والاتجاهات والقيم، والمستوى الحركي والنزوع والمهارة الذي يتصل بالمهارات العلمية المختلفة التي تعتمد بالدرجة الأولى على حركة البدن[7].

كما إن هدف التربية الأساسي لم يعد محصوراً في بناء مجتمعات بشرية متجانسة في الأفكار والآمال والطموحات، وإنما بات يهتم بصورة خاصة في بناء شخصية الإنسان بناءً متيناً قائماً على أفكارٍ بنّاءة، وقيمٍ إنسانية وخلقٍ متماسكة، وعلى أهداف تسعى لتعميق جذور العلاقات البشرية في كل مكان وزمان على وجه الكرة الأرضية، وذلك بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة بظهور العولمة[8].

فالتربية في الإسلام منهج متكامل يعني بالجسم والروح والعقل، ومن أجل تكامل النظرة الإسلامية إلى الحياة والوجود والمجتمع جمعت التربية الإسلامية بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم، فهي تُعنى بالتربية الخلقية والصحية والعقلية دون إعلاء جانب على الآخر، ولذلك ينشأ المسلم سوياً قوي الصلة بخالقه- جلَّ وعلا- محققاً لرسالته في الحياة[9] ويعود مصطلح (التربية) إلى: رَبَا يَرْبُو بمعنى الزيادة والنماء والارتفاع، ومنه قوله- تعالى-:﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾الروم،الآية [38

أي ليزيد ويزكوا في أموال الناس، فلا يربو عند الله: أي لا يبارك الله فيه، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله: أي وما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأةوإنما تقصدون بها ما عند الله﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ المُضْعِفْ دون الإضعاف من الحسنات الذين يُعْطَوْنَ بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف[10].

يتضح مما سبق أن التربية الإسلامية تتكون من عناصر رئيسة هي تنشئة الإنسان وإصلاحه شيئاً فشيئاً، بالتدرُّج في تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها؛ الروحية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية والجسمية.وتنمية مواهبه واستعداداته كلها وهي كثيرة ومتنوِّعة[11]. وهي عملية إنسانية سلوكية اجتماعية حضارية، تتألف في جوهرها من التعلُّم القائم على الجهود الذاتية للمتعلِّم، المتجلية في تشكيل سلوكه، المؤدّية إلى تطوير شخصيته، وبالتالي يسهم في تقدُّم مجتمعه وتمكينه من الإسهام في بناء الحضارة الإنسانية، وبهذه الصورة فهي عملية سلوكية واجتماعية، غايتها القصوى خير الإنسان وخير المجتمع وخير الإنسانية جمعاء[12] لأنها تتكون من عناصر، أهمها[13]:

1. المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.
2. تنمية مواهبه واستعداداته كلها، وهي كثيرة ومتنوعة.
3. توجيه هذه الفطرة والمواهب كلها لإصلاحها للوصول بها نحو الكمال اللائق بها.
4. التدرج والمنهجية في هذه العملية حالاً فحالاً.

المبحث الأول: الأسس التربوية التي يعتمد عليها القرآن الكريم:

الأسس جمع أساس: يقال أسَّستُه تأسيساً: جعلت له أساساً يقول- تعالى- : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّن أَسَّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي القَومَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة، آية 110]

قال القرطبي: (أفمن أسس) أي أصلّ: فالأسس هي الأصول التي ترتكز عليها عملية التربية الإسلامية حتى تحقق أهدافها[14].

ويمكن تقسيم الأسس التربوية في القرآن الكريم إلى نوعين: أسس تتعلق بعقيدة الإنسان وطبيعته، وأسس نفسية تربوية:

أولاً: الأسس المتعلقة بعقيدة الإنسان وطبيعته هي:

الأساس الإيماني: ويشمل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر والقدر خيره وشره، فإذا نشأ الفرد على تقوى الله- تعالى- أحسَّ بثمرته وأصبح متأثراً به، يقول- سبحانه:﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾البقرة: الآية284.

الأساس الأخلاقي:تقوم التربية الأخلاقية على تزكية النفس، التي تعني التخلي عن الرذائل والعادات السيئة، والتحلي بكل خلق فاضل لتصبح النفس طاهرة نقية، ويكون صلاحها في الفرد عنوان صلاح المجتمع، يقول عز وجل:﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾[الشمس،الآية 10]

تعكس هذه الآيات حقيقة الوجود النفسي في الإنسان فهو مخلوق ذو استعدادات متوازية لاستقبال المؤثرات الخيرة والشريرة على السواء فهو مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعدادات، مزدوج الاتجاهات، ونقصد بكلمة(مزدوج) على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه من طين الأرض، ومن نفخ الله فيه من روحه، مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، وهو قادر على التمييز بين ما يضره وما ينفعه[15].

الأساس الاجتماعي: وهو قبول الحق وعدم الاستنكاف والتكبر، والاستنكاف مأخوذ من أصل الفعل نكف، ويقال نكفت من كذا واستنكفت منه أنفت، يقول- تعالى-: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِن عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفرُوضًا﴾[النساء،الآية171]، والتكبر والاستنكاف طريق المهالك؛ لأنه يصرف المرء عن قبول الحق لاسيما إذا كان الدال عليه أقل منه مكانة أوسنّاً، فإذا تربى المتربي على قبول الحق وعدم التكبُّر والاستنكاف فإنه يكون وعاءً صالحاً لقبول كل توجيه فاضل، وقابلاً للتربية والتنشئة الصالحة.

الأساس التعبدي: تُعدُّ العبادة من الأسس المهمة في حياة الفرد بها يعرف ربه- سبحانه وتعالى- وبها تطمئن نفسه، يقول عز وجل:﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ تَطمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلَا بِذَكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ [الرعد.الآية 29]

الأساس التعاوني: يعتبر التعاون من الأسس التي تقوّي الروابط الاجتماعية في الحياة، يقول تعالى:

ي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَ لَا الشَّهرَ الحَرَامَ وَ لَا الهَدىَ وَ لَا القَلَائِدَ وَ لَا ءَامِّينَ البَيتَ الحَرَامَ يَبتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَ رِضوَانًا وَ إِذَا حَلَلتُم فَاصطَادُوا وَ لَا يَجرِمَنَّكُم شَنَئَانُ قَومٍ أَن صَدُّوكُم عَنِ المَسجِدِ الحَرَامِ أَن تَعتَدُوا وَ تَعَاوَنُوا عَلَى البِرِ وَ التَّقوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثمِ وَ العُدوَانِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَاب﴾ [المائدة، الآية3]، والإنسان كائن اجتماعي لديه حاجات نفسية واجتماعية لابد من إشباعها في إطار اجتماعي ديني أخلاقي مثل الحاجة إلى الحب، يقول جل جلاله:﴿إِنَّمَا المُؤمِنُونَ إِخوَةٌ فَأَصلِحُوا بَينَ أَخَوَيكُم وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَكُم تُرحَمُونَ﴾[الحجرات، الآية10]والحاجة إلى تجنب اللوم يقول- جلت قدرته:﴿وَ لَا تَستَوِي الحَسَنَةُ وَ السَّيِّئَةُ ادفَع بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ

فَإِذَا الَّذِي بَينَكَ وَ بَينَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت،الآية 33]

الأساس النفسي: ويقصد به مجاهدة النفس ومحاسبتها؛ وتكون مجاهدة النفس وحملها على أن تتعلم أمور الدين وتعمل بها وتعلّمها وتصرفها عن هواها، فالنفس بطبعها تميل إلى الهوى وتستهويها الشهوات فيجب إلزامها بترك ما تهوى مما نهى الله عنه وإلزامها ما أمر الله به، قال القرطبي:" أن جهاد النفس من أعظم أنواع الجهاد، حتى قيل فيه إنه الجهاد الأكبر، ومجاهدة النفس ومحاسبتها تحتاج إلى إمساك الجوارح عن معاصي الله- سبحانه وتعالى- كمنع العين عن رؤية المحرم، وإمساك اللسان عن قول السوء والكف عن الإسراف المذموم[16].

الأساس الفكري: ويعني سلامة التفكير، وهو أن يقيس الفرد الأمور ويزنها بميزان الإسلام، ويميّز الخبيث من الطيب، والطالح من الصالح، ويقيم الأمور حسب نتائجها قبل أن يُقدم عليها،فيبتعد عن الرذائل ويفعل الفضائل.

الأساس الإيجابي العملي: لا يكتفي المنهج القرآني بأن يتعلم الإنسان العلم- دنيوياً كان أم أُخْرويًا- فحسب؛ وإنما طلب منه ترجمة هذا العلم إلى الواقع يقول- جل جلاله-:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفعَلُونَ ﴾ [الصف،الآية 2]

فكل من يتربى على المنهج القرآني لا بد أن يكون إيجابياً وفاعلاً مع نفسه ومع مجتمعه، ولابد أن يعمل العمل الصالح الذي يترجم به عن إيمانه فالدين المعاملة، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن مَنْ أمَّنه الناس على دمائهم وأعراضهم، فلا إيمان في ظل التربية الإسلامية بغير عمل صالح والعمل الصالح هو العمل الذي أوجبه الله أو ندب إليه، يقول-عز وجل-: ﴿وَ قُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَ رَسُولَهُ وَ المُؤمِنُونَ وَ سَتُرَدُونَ إِلَى عَالِمِ الغَيبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾[التوبة، آية106][17]

ثانياً: الأسس النفسية التربوية:اهتم القرآن الكريم بالنفس الإنسانية اهتماماً كبيراً وبالغاً حيث ذكر لفظ (النفس) ومشتقاتهابأشكال مختلفة كانت في مجملها (295) شكلاً وصورة ما بين مفرد وجمع تذكير وتأنيث[18].

كما تناولها تناولاً شاملاً وكاملاً من الجوانب التنموية والوقائية والعلاجية، غير أنه تناول البعدالتنموي أكثر مما تناول البعد الوقائي والعلاجي، وربما يعود ذلك الاهتمام إلى أن عملية البناء والتنمية تتضمن الوقاية والعلاج[19].

وتتعلَّق هذه الأسس بطبيعة الإنسان كما حدَّدها الله- عز وجل- واستنتجتها النظريات النفسية وهناك عوامل أخرى: الكينونة والصيرورة والجماليات والمنطق، والخالق-سبحانه- هو الذي يعرف ماذا يفسد الإنسان وما يصلحه، وهو الذي يعرف طرق وقايته وعلاجه، لذلك يجب على علماء التربية أن يستفيدوا من القرآن الكريم؛ لأنهم ليسوا بأعلم بالإنسان من خالقه- عز وجل- يقول- سبحانه: أَلَا يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَ هوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [سورة الملك آية 14].

ومن هنا نستطيع القول أن هذه الأسس التي جاء بها القرآن الكريم لا تستطيع أن تدانيها نظم، فضلاً عن أن تساويها، وإن اللبنات التي تكوّن بناء النظام الاجتماعي الإسلامي من أسر وأفراد وجماعات في ظلّ آداب الإسلام وأخلاقه ومنهجه ونظامه، وكفالة الحقوق والالتزام بأداء الواجبات..

إن هذه اللبنات هي الأقدر على الفاعلية والإنتاج وصناعة الحياة الإنسانية الكريمة[20]. وترغيباً من القرآن الكريم في أن يتمسك المسلمون بمنهجهم الأخلاقي، فقد جعل لأصحابالأخلاق الكريمة منزلة رفيعة تقترب من منزلة الأنبياء والشهداء والصالحين يقول- تعالى: وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَأَنعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيئِينَ وَ الصِّدِيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء، الآية 68].

فليست هناك منزلةً أشرف وأرفع من مجاورة هؤلاء في الجنة، وإنما يكون ذلك بحسن الخلق[21].

المبحث الثاني: الخصائص التربوية في القرآن الكريم:

تتميَّز التربية في القرآن الكريم بكثير من الخصائص: فهو الكتاب المعجز الذي عجزت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً، وكتاب التربية الأول للمسلمين وغير المسلمينوبيان هذه الخصائص فيما يأتي:

1. **الربانية:** ويقصد بذلك أنها ربانية المصدر يقول- جلت قدرته-:﴿ تَنزِيلٌ مِن رَّبِّ العَالَمِينَ﴾ [الحاقة،الآية 43]؛ فهو منهج من عند الله- سبحانه- لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وليس للبشر علاقة به، وهذا لا يعني تعطيل العقل البشري ودوره في إعمار الكون يقول المولى - عز وجل- : ﴿سَنُرِيهِم ءَايَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شَهِيدٌ﴾ [فصلت،الآية52] بل جاء الحث كثيراً في القرآن الكريم على التفكُّر والتدبُّر وإعمال العقليقول جل جلاله: ((فَانظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الأَرضِ وَ مَا تُغنِي الآيَاتُ وَ النُّذُرُ عَن قَومٍ لَا يُؤمِنُونَ ﴾ [يونس،الآية 101]

وتؤكِّد كثيرٌ من شواهد التاريخ سقوط كل المناهج التربوية التي وضعها الإنسانقديماً وحديثاًأمام هذا المنهج الرباني الفريد.

2. **الشمولية:** وهي أن المنهج التربوي الإسلامي جاء شاملاً لحياة البشر في الدنيا والآخرة حيث تناول كيان الإنسان المسلم الجسدي والروحي، والوجداني والعقلي والنفسي، وشمل ذلك تربيته على حب العمل والإنتاج، والبذل والعطاء، والتمتع بالحياة الروحية والإيمانية ونظَّم علاقة المسلم بنفسه ومع الآخرين من المسلمين وغير المسلمين، ووضع تشريعات متوافقة مع حدود إمكاناته وقدراته، ولم تكلفه فوق ما يطيق، ولم يترك القرآن الكريم شيئاً مما يحتاجه الإنسان في صلاح دينه ودنياه إلا وبيَّنَهُ له يقول تبارك و تعالى: ((وَ مَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرضِ وَ لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمثَالُكُم مَا فَرَطنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم يُحشَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام آية 39]
3. **التكامُلية:** تعتبر متكاملة في جميع مجالات الحياة الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وغيرها، وتكامل اتجاهات التربية القرآنية في مجالات العقيدة والعبادة وسلوك المسلم مع الفرد والجماعة.
4. **التوازن:** عندما جاء الإسلام أخذ مفهوم التربية أبعاداً جديدة، فإذا كانت التربية في السابق تعني مجرد إعداد النشء في مرحلة عمرية معينة، فقد أصبحت في الإسلام عملية إعداد للإنسان في جميع مراحل عمره المختلفةفهي عملية مستمرة من المهد إلى اللحد؛ ومن جوانبها المهمة الإعداد المتكامل المتوازن للدارين يقول تعالى:((وَابتَغِ فِي مَا ءَاتَاكَ اللهُ الدَّارَ اءلاخِرَةَ وَ لَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا وَأَحسِن كَمَا أَحسَنَ اللهُ إِلَيكَ وَلَا تَبغِ الفَسَادَ فِي الأَرضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّالمُفسِدِينَ﴾[القصص،الآية 77]وجُعل طلب العلم فريضة

مستمرة على كُلِّ مسلم ومسلمة لا تقف عند حدٍّ وجعل الإسلام للعلم والعلماء مكانتهم الرفيعة، يقول جل جلاله: ((أَمَّن هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَ قَائِماً يَحذَرُ اءٰلاخِرَةَ وَ يَرجُوا رَحمَةَ رَبِّهِ قُل هَل يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلبَابِ﴾ [الزمر، الآية 10].

فالتوازن والاعتدال بين مطالب الروح ومطالب الجسد من أبرز الخصائص التربوية في الإسلام، وأقرب مثال على ذلك العبادات التي تعنى بالجانبين الروحي والمادي في الإنسان، ليبقى المسلم على طهارة روحية متجددة تقربه من خالقه. وهذا التوازن إنما هو تجسيد في جانب العبادات، وقد جُعلت متنوعة ومتكررة، وإذا كان الإنسان يتكون من جسم وروح ولكل منهما حاجاته ومتطلباته، فإن منهج التربية القرآنية قد راعى ذلك بشكل متوازن، بحيث لا يطغى جانب على آخر في ظل الشرعية التي رسم الإسلام حدودها، ووضع قواعدها بما يتناسب وتكريم الله- عز وجل- له بقوله: ((وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِي ءَادَمَ وَ حَمَلنَاهُم فِي البَرِ وَالبَحرِ وَ رَزَقنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَلنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقنَا تَفضِيلًا﴾ [الإسراء، آية70][22].فالعبادات تقربه من خالقه وتجذبه إليه كلما نأت به ماديات الحياة بعيداً عن الحضرة الإلهية، سبحانه وتعالى-[23]. وجُعل من واجب المسلم المتعلم أن يُعلّم غيره [24].

5. **الوسطية:** ويقصد بها الاعتدال والقسط والأفضلية، يقول سبحانه:﴿وَ كَذَالِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا وَمَا جَعَلنَا القِبلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيهَا إِلَا لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيهِ وَإِن كَانَت لَكَبِيرَةً إِلَا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ أَيمَانَكُم إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة،الآية 142]، فالقرآن الكريم راعى مكنونات الإنسان من جسد وروح بشكل متوازن بحيث لا يطغى جانب على حساب آخر، فقد أعطى كل جانب حاجاته ومتطلباته في حالة من الوسطية التي ترفض الإفراط أو التفريط، فالوسطية بين الروحانية المتطرفة، والمادية المفرطة أمرٌ تستدعيه حياة المجتمع والإسلام هو الذي تحققت فيه هذه الميزة، وتفرَّد بها عن غيره[25].

ومن هنا كان المنهج التربوي في القرآن وسطاً بين تطرّف الماديين وتشدد الرهبانيين.

6. **الواقعية:** ويكون ذلك من خلال النظر في اختلاف البشر في الصفات والفضائل؛ فهو يتعامل معهم على أساس الخطأ والإصابة، وليس على أساس المثالية، وتؤكد الآيات القرآنية الوصول بالإنسان إلى درجة التقوى يقول- تعالى﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إِلَّا وُسعَهَا لَهَا مَا كَسَبَت وَ عَلَيهَا مَا اكتَسَبَت رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِن نَّسِينَا أَو أَخطَأنَا رَبَّنَا وَ لَا تُحمِل عَلَينَا إِصرًا كَمَا حَمَلتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِنَا رَبَّنَا وَ لَا تُحَمِّلنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بَهِ وَ اعفُ عَنَّا وَ اغفِر لَنَا وَ ارحَمنَا أَنتَ مَولَانَا فَانصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾ [البقرة. آية285]

7. **الوضوح:** تُستمدُّ التربية الإسلامية خصائصها من الدين الإسلامي الذي يمتاز بالوضوح، فيقدم الإجابات الواضحة للنفس البشرية والعقل البشري في كل القضايا والمسائل إزاء كل التحديات والأزمات، ويكون ذلك من خلال حث المسلم على العلم والعمل والتعليم، وعدم الاكتفاء بالتعليم فقط، فهو يحث على الإيجابية والفعالية والتفاعل مع الآخرين[26].

المبحث الثالث:الأساليب التربوية في المنهج القرآني

إن القرآن الكريم ليس كتاب تشريع فحسب؛ بل هو كتاب عظة وإرشاد يسوق آياته بأساليبمتباينة لتتقبله النفوس، وتسترشد بهداه وتوجيهاته العقول، في أجواء مختلفة، ولو جاءت أساليب بيانه على منهجٍ واحد لفقد القرآن أهمَّ مميزاته في الهداية والعبرة والتعبد بتلاوته[27]. وهذا التنوُّع في الأساليب يكون باعثاً على قبول وامتثال أحكامه دون أن تشعر النفوس بالملل أو السآمة، ويكون مشوّقاً لها للمواظبة على تلاوته ومدارسته، وهذا هو الواقع تماماً، فالقرآن لا يخلق على كثرة الرد، ولا تحس بتكراره نفوراً أو ضجراً بخلاف الكتب المؤلفة[28]، ولهذا التنوُّع في أساليبه بيان حكم وأسرار منها:

إن الأحكام شرعت في أوقات مختلفة، وفي فترات متباعدة حسب الوقائع والأحداث والمناسبات، ولكل واقعة أو مناسبة أسلوب يناسبها، فقد تقتضي الدلالة على الوجوب أو على التحريم، بوعد أو وعيد على فعله أو تركه، وقد تتطلب مناسبة أخرى التصريح بالوجوب أو بالتحريم، وتقتضي ثالثة أسلوبًا آخر فالحادثة أو المناسبة التي اقتضت تشريع حكم خاص، اقتضت أسلوباً خاصاً في بيانه وعرضه[29].

إذ إن كل أسلوب منها ينفذ إلى نفس الإنسان من خلال أحد منافذها، مما يؤدي في النهاية إلى الانتفاع بهذه الأساليب كلها والتي من أبرزها ما يأتي:

1. **التربية بالعبرة والموعظة:** يربي هذا الأسلوب النفس البشرية على العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من البدع والخرافات والمبنية على قواعد الإسلام وأركان الإيمان، ويبين له واجباته من خلال أسلوب لطيف، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَتكُم مَّوعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُم وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدَىً وَ رَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ﴾ [يونس،الآية57].
2. **التربية بالموعظة والقدوة الحسنة:** من الطبيعي أن النفس البشرية جبلت على التأثر بما يلقى إليها من نصح وإرشاد ووعظ تأثراً مؤقتاً، يتطلب التكرار ليستديم ثبات الموعظة وهذه الموعظة لا يمكن أن تجد سبيلها إلى القلب إلا إذا اخترقته عن طريق الوجدان الذي يهز مشاعره، فتتقبل النفس الموعظة وتتأثر بها، لكنها تبقى حائرة في مرحلة ما بعد التلقي لا تجد سبيلاً إلى التطبيق إلا إذا تمثلت لها القدوة الحسنة، وحين تتوفر القدوة الصالحة الواعظة فالقول والعمل متلازمان لهما تأثير بالغ في النفس، وسبيلان رائعان لحسن التربية واستقامة السلوك، خاصة إذا كانا صادرين عن شخصية متوازنة يقول سبحانه﴿ إِنَ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَ الإِحسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي القُربَى وَ يَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَ المُنكَرِ وَ البَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل،الآية90].

والموعظة يحتاجها الكبير والصغير، الرجل والمرأة الحاكم والمحكوم، بحكم طبيعة النقص في البشر، مع تفاوت فيقدر حاجتها لكنها عند الناشئة أشد احتياجاًلهذا جاء المنهج التربوي في القرآن بالمواعظ والوصاياليتربى الإنسان على الاقتداء بالأنبياء والرسل- عليهم الصلاة والسلام- كما جاء في سورة لقمان- عليه السلام- والوصايا العشر التي تناولتها سورتي الأنعام والإسراء وغيرها في مواطن متفرقةمن القرآن الكريم بعد أن ذكر عدداً من الأنبياءيقول تعالى: ﴿وَ قَالُوا لَولَا أُنزِلَ عَلَيهِ مَلَكٌ وَ لَو أَنزَلنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾

[الأنعام،الآية91][30].

1. **التربية بالترغيب والترهيب:** وقد جاء هذا الأسلوب التربوي في القرآن الكريم ليرغب الناس بالتحلّي بالأخلاق النبيلة، ويرهّبهم من الاتصاف بضدّها، وهو أسلوب تربوي له دوره في معالجة القضايا الأخلاقية والاجتماعية وقد استعمله القرآن الكريم وخاطب الناس على اختلاف مستوياتهم، فما من خلقٍ نبيل إلا ويحمل في المقابل ضده؛ فالسخاء ضده البخل، والشجاعة ضدها الجبن، والحب ضده الكره، والرحمة ضدها القسوة، والحلم ضده الغضب، وهكذا..ففي أسلوب الترغيب يقول تعالى﴿مَّثَلُالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَت سَبعَ سَنَابِل فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة، الآية260]

والمقابل يربّي بالترهيب فيُخوَّف من البخل والشح والأنانية، وينفر منها فيقول-سبحانه-﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحبَارِ وَ الرُّهبَانِ لَيَأكُلُونَ أَموَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَ الَّذِينَ يَكنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة،الآية34].

ويبين الأثر السلبي للبخل في قوله- عز وجل:﴿هَا أَنتُم هَؤُلَاءِ تُدعَونَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنكُم مَّن يَّبخَل وَ مَن يَّبخَل فَإِنَّمَا يَبخَلُ عَن نَّفسِهِ وَ اللهُ الغَنِي وَ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ وَ إِن تَتَوَلَّوا يَستَبدِل قَوماً غَيرَكُم ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمثَالَكُم ﴾[محمد، آية 39] [31].

2. **التربية بالتعزير والعقوبة:** من السنن الكونية أن طباع البشر مختلفة ومتباينة، وهذا الاختلاف والتباين يتطلب الجزاء المناسب لكل طبيعة، فبعض الناس يتأثر بأبسط كلمة، وبعضهم لا بدَّ من تكرارها، وآخر لا تجديه نفعاً، ورابع لا ينزجر إلا بالعقوبة وحتى العقوبة تختلف بتباين مستحقها، لذا جاءت الآيات القرآنية تستوعب هذه الحالات المتباينة، يقول- تعالى-:﴿ وَ الَّذِينَ سَعَوا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصحَبُ الجَحِيمِ ﴾ [سورة الحج آية 49].

3. **التربية بالتدرج:** لقد راعى المنهج الرباني حالة الأفراد والمجتمعات من النواحي الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية وغيرها، واتبع أسلوباً حكيماً، ومنهجاً قويماً لنشر تعاليمه وأحكامه لتجد قبولاً لدى النفوس التي كانت مجبولة على طبائع وعادات وقيم لا تتوافق مع المبادئ السامية التي بشَّر بها المنهج القرآني، فلم يدع شيئاً من الكرامة والبر إلا أعطاه هذه الأمة، ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدةً، ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة" [32]، وكان هذا التدرجمن ناحيتين، **الأولى**: الزمنية في التشريع؛ وهي أن أحكام القرآن الكريم التي لم تنزل دفعة واحدة في زمن واحد، بل نزلت على فترات زمنية هي فترة نزول القرآن منجماً على النبي- صلى الله عليه وسلم- وهي ثلاث وعشرون سنة.

الناحيةالأخرى: أنواع الأحكام؛ فالقرآن لم يكلف المسلمين في بداية الدعوة من الأحكام مالا يطيقون فعله أو تركه، بل اقتصر في المرحلة الأولى على الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، مع توجيه العقل إلى التفكير فيما حوله، ليستدل على وجود الله- تعالى- وقدرته[33]

جاء عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت:" إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أوّل شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً"[34].

وفي هذا إشارة إلى الحكمة الإلهية في ترتيب تنزّل القرآن الكريم، وذلك لتطمئن النفس البشرية بما أنزل إليها من أحكام، لأن النفس مجبولة على النفور من ترك المألوف.

وعلى هذا فمنهج القرآن التدريجي في علاجه للقضايا المتأصلة، يهدف من ورائه إلى إلغاء الظواهر السيئة السائدة في حياة الأفراد والمجتمعات، وإحلال مبادئ سامية جديدة [35].

4. **التربية بالحوار والمناقشة:** لقد أرسى المنهج القرآني هذا الأسلوب لما له من أثرٍ عظيمٍ على النفس البشرية، ولنا في قصص الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- مع أقوامهم أعظم الأمثلة على ذلك؛ لأنها جمعت بين أسلوبي القصة والعبرة، ولأن من أهداف القصص القرآني التذكير بالأخلاق الرفيعة، التي تفيد الفرد، والأسرة، والجماعة، والدولة والأمة، والحضارة، وهو أسلوب يروح على النفس، ويغرس قيماً تربوية شتى، كالرحمة بالضعيف وفطنة المعلم وكياسته، وهي عبرة لطالب العلم، فهي تدعوه إلى الصبر على طلب العلم، كقصة إبراهيم -عليه السلام- مع قومهوقصة موسى- عليه السلام- مع الخضر وقصة يوسف- عليه السلام- مع عزيز مصر، وقصة ملكة سبأ مع قومها،[36].

5. **التربية بإقامة الحجة والدليل:** أنزل الله- سبحانه وتعالى- القرآن الكريم على رسوله- صلى الله عليه وسلم- متحدّيًا به أرباب البلاغة والفصاحة فقهر بلاغتهم وأعجز فصاحتهم، كما تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا يقول جلّ جلاله: ﴿ أَم يَقُولُونَ افتَرَاه قُل فَأتُوا بِسُورَةٍ مِّثلِهِ وَ ادعُوا مَنِ استَطَعتُم مِن دُونِ اللهِ إِن كُنتُم صَدِقِينَ﴾ يونس،الآية38. وما زال التحدّي قائماً، إلى أن يرث الله- تعالى- الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، يقول عز وجل ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَّأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء، الآية:88.

6. **التربية بالعبرة وضرب الأمثال:** يعتبر هذا الأسلوب من أوسع الأساليب التربوية في النفس لما يعقبه من تبصرٍ واتعاظ وتدبر، يقول- سبحانه-:﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَريَةً كَانَت ءَامِنَةً مُّطمَئِنَّةً يَأتِيهَا رِزقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوفِ بِمَا كَانُوا يَصنَعُونَ ﴾ [النحل، الآية 112]. وذلك أنه يقدم المثل المعنوي في صورة محسوسة فيربطه بالواقع ويقربه إلى الذهن فضلاً عن أن للمثل بمختلف صوره بلاغة تأخذ بمجامع القلوب وتستهوي العقول وبخاصة عقول البلغاء، ولذلك نجد المنهج القرآني استكثر من ضرب الأمثال، وذكر حكمة ذلك في آيات كثيرة منها قوله- تعالى:﴿ وَتِلكَ الأَمثَالُ نَضرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ﴾ العنكبوت،الآية43[37].

المبحث الرابع: أمثلة تطبيقية لمواقف تربوية مميّزة من سيرة الأنبياء-

عليهم الصلاة والسلام.

أرسل الله- تعالى- الرسل وأنزل عليهم الكتب ليعلموا الناس مكارم الأخلاق، ويهدونهم سبل السلام، يقول-عز وجل-:﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَختَلِفُونَ فِيهِ وَ لِيَعلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُم كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل،الآية 36] وفي هذا البحث نذكر بعض المواقف التربوية من سيرة الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام-:

1. سيدنا إبراهيم- عليه السلام- كان الدرس التربوي في قصة إبراهيم- عليه السلام- في استجابته لأمر ربه، وموقفه الأبوي مع فلذة كبده ابنه (إسماعيل)- عليه السلام- في امتحان النبوة والسمع والطاعة لأوامر الله- تعالى- فكانت التضحية التي بلورت شخصيته النبوية، وحددت صفاته القيادية، ووصفته بالأممية في قوله- سبحانه-:﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ﴾ النحل، الآية:120. كان أمة في أدبه مع أبيه(آرز) يدعوه للتوحيد وتَرْكِ عبادة الأصنام، ويشفق عليه، ويصرُّ على موقفه من الحق دون مجاملة ولا عقوق، وأمة في محاجّة الكفر بالدليل والحجة القائمة على البرهان، وأمة في أبوة الأنبياء- عليهم السلام- ، وأمة في الافتقار إلى الله- تعالى- وصدق التوكل عليه، وأمة في التوجُّه إلى الله والالتجاء والإنابة إليه، وأمة في سؤاله الهداية والمغفرة له ولوالديه ولذريته وللمؤمنين[38].
2. سيدنا يوسف- عليه السلام- إن القصص القرآني ليس أموراً تاريخية لاتفيد إلا المؤرخين، وإنما هو أعلى وأشرف وأفضل، فهو مليء بالتوحيد والعلم التوجيهات الأخلاقية والأساليب التربوية، والحجج العقلية، والتبصرة والتذكرة والمحاورات العجيبة من ذلك قصة يوسف- عليه السلام- متأملاً في جانب الأخلاق التي عرضت في مشاهدها الرائعة، قال علماء الأخلاق والحكماء:" لا ينتظم أمرالأمة إلا بمصلحين ورجال أعمال قائمين وفضلاء مرشدين هادين، لهم شروط معلومة وأخلاق معهودة، فإن كان القائم بالأعمال نبياً فله أربعين خصلة ذكروها، كلها آداب وفضائل بها يسوس أمته، وإن كان رئيساً فاضلاً اكتفوا من الشروط ببعضها، وسيدنا يوسف- عليه السلام- حاز من كمال المرسلين وجمال النبيين، ولقد جاء في سيرته هذه ما يتخذه عقلاء الأمم هدياً لاختيار الأكفاء في مهام الأعمال[39].
3. نبي الله- تعالى- موسى- عليه السلام- لقد بلغت هذه القصة في القرآن الكريم أربعاً وثلاثون مرة، بين إجمالٍ وتفصيل وذلك لما لاقاه موسى- عليه السلام- من بني إسرائيل من الأذى والعناد بدءاً من اللحظات الأولى لولادته، وانتهاءً بهلاك فرعون وغرقه، وما تخلل ذلك من مواقف تربوية أقف عند أهمها؛ ففي طلبه من ربه صحبة أخيه هارون معللاً أنه أفصح منه وأبلغ، ثم في محاجّة فرعون وحواره المتمثل بالثبات على المبدأ والذود عنه بأدب وقوة ورفعة وإباء، بعيداً عن الغوغائية أو اللامبالاة، ثم في موقفه الأدبي والتربوي الرائع الذي سطرته آيات سورة(القصص) في السقيا لابنتي النبي شعيب - عليه السلام- والحوار الذي دار بينهما، والاتفاق الذي توصلا إليه، ثم ما كان منه في سورة الكهف في صحبته للرجل الصالح(الخضر) تلك الرحلة الطويلة التي كان فيها المثال الذي يحتذي به الطالب المؤدَّب مع أستاذه، وكان عنوان السمع والطاعة والالتزام دون معاندة وهذا من أنبل الأمثلة للتربية بالصحبة يقول عز وجل:﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِي صَبراً ﴾ الكهف، الآية:66[40].
4. وأما عن الأساليب التربوية التي تميّز بها لقمان الحكيم والمختلف في صفة نبوته أو حكمته، ووصيته المشهورة لولده وهو يأمره بالتوحيد الذي هو الأساس في بناء قواعد التربية والأخلاق والسلوك، ثم يذكره بوصية الله- سبحانه وتعالى- لابن آدم في والديه مصوراً حالة حمل الأم ومتاعبه، ليؤدي واجب الشكر لها ولأبيه وفاءً لتربيتهما وعنائهما أيام طفولته الأولى، معلماً إياه أهمية التربية في البر بالوالدين، واحترامهما وتقديرهما حتى ولو كانا كافرين، فالإحسان والوفاء والطاعة أخلاق تربوية عظيمة[41].
5. إن المتتبع للمنهج التربوي في القرآن الكريم يجد أن البيت النبوي قد تمثل فيه التوجيه التربوي على نحوٍ فريد من أساليب الخطاب ونوعيته وآليته وخصوصيته، ولعلّ سورتي (الأحزاب والممتحنة) قد نالتا قسطاً طيباً من الجانب التربوي؛ فنجد الأولى تستفتح بأحكام الظهار في دعوة تربوية صريحة إلى الأزواج أن يكفوا عن مظاهرة النساء، ثم يبطل دعوة التبني، ثم يتحدث عن قضية تكون عنوان مبدأ يفيد الأمة بأسرها إن سارت عليه وأعظم به من توجيه تربوي؛ ألا وهي زواجه من زينب بعد طلاقها مولاه زيد، ليبطل عادةً جاهلية وهي التبني، ثم ينتقل بعدها إلى آدابٍ تربوية مهمة في الزيارة والاستئذان وأما الثانية: فقد تناولت في آخرها الأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية باعتبارها أسس الحياة الاجتماعية والتربوية الجديدة، وهي عدم الشرك بالله- تعالى- إطلاقاً، وعدم الاعتداء على حدود الله- سبحانه- كالسرقة والزنا والقتل، إشارة إلى ما كان يجري في الجاهلية من وأد البنات، كما أنه يشمل قتل الأجنة لسبب من الأسباب وهن أمينات على ما في بطونهن، ولا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن، ثم بيّن الوعد بطاعة الرسول- صلى الله عليه وسلم- في كل ما يأمرهن به، وهو لا يأمر إلا بمعروف ولا ينهى إلا عن منكر وهذا الشرط هو أحد أسس المنهج النبوي في التربية؛ لأنه يقرّر أن لا طاعة مطلقة لولي الأمر في كل أمر، وهي القاعدة التي تجعل قوة التشريع والأمر مستمدة منشريعة الله- تعالى- فإذا بايعن على هذه الأسس الشاملة قُبِلَتْ بيعتهن[42].

الخاتمة: نستخلص من هذا البحث النتائج الآتية:

1. التربية في المفهوم القرآني هي عملية إنسانية سلوكية اجتماعية حضارية مستمرة تعهَّدها القرآن الكريم بالاهتمام من الطفولة إلى الكهولة، تتألّف في جوهرها من تعاليم القرآن الكريم إلى التعلّم القائم على الجهود الذاتية للمتعلّم.
2. يقوم النظام التربوي في المجتمع الإسلامي على مبدأ التكافُل الاجتماعي الشامل الذي يتعاون فيه كل الأفراد بما يعين كلاً منهم على الالتزام بحقوق الله- تعالى-.
3. يخاطب المنهج القرآني العقل والشعور والوجدان، فلا يغلِّبُ جانباً على آخر.
4. في النفس البشرية قوتان؛ قوة تفكير، وقوة وجدان، الأولى: تبحث عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، والأخرى:

تسجل إحساسها بما في الأشياء من لذةٍ وألم، والبيان التام هو الذي يوفي هاتين الحاجتين.

5. لم يقتصر المنهج التربوي في القرآن الكريم على مجرد الدعوة للإيمان بالله- تعالى- فحسب؛ بل جاء للناس بمنهجٍ تربويٍّ كاملٍ وشاملٍ، لشتى فروع التربية التي تستند إليها المجتمعات الإنسانية في عملية التطوُّر والتقدُّم نحو الأفضل.
6. يمتاز المنهج الرباني في القرآن الكريم بالشمولية والتكاملية والوسطية والواقعية والوضوح والتدرج.
7. يتفرَّد المنهج التربوي في القرآن الكريم بالوحدانية دون سائر المناهج الفلسفية الأخرى؛ لأنه ينشأ من القلب والعقل ويؤثر في سلوك المسلم، فيكون منضبطاً.

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم برواية قالون عن شيخه نافع المدني.

1. آيات قرآنية ومضات من القرآن الكريم عرض وتحليلغازي صبحي آق بيق، مكتبة الأسد، دمشق سوريا1998م
2. إستراتجية تطوير التربية العربية، محمد الشريف وآخرون المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم1976م.
3. أصول الأحكام، منصور الشيخ
4. أصول التربية الإسلامية، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ط2، 2000.
5. أصول الفقه، محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر.
6. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبدالله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد سالم محيسن وشعبان محمد إسماعيل، مصر، مكتبة الجمهورية العربية.
7. تربية الناشئ المسلم، علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء للطباعة والنشر 1992م
8. تعريف ومعنى التربية في معجم المعاني، تفسير البحر المحيط، لابن حيان،
9. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تح: عادل أحمد عبد الجواد. وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 2001.
10. التفسير التربوي للقرآن الكريم، أنور ألباز، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، 2007
11. تفسير محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997,
12. تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه، ضبط وتعليق:محمد سليمان، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2010.
13. الجامع لأحكام القرآن، (القرطبي) محمد بن أحمد الأنصاري ، القاهرة، دار القلم، 1966م، ج13.
14. خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلاّفالكويت، نشر دار القلم ط9، 1971م.
15. دراسات نفسية وتأملات قرآنية، عزّة عبد العظيم الطويل، مكتبة الثقافة، الإسكندرية، مصر، 1977.
16. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 2010م.
17. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، مكة المكرمة، دار ألباز للنشر والتوزيع.
18. فتح القدير، محمد علي الشوكاني،
19. فلسفة التربية الإسلامية، عمر محمد التومي الشيباني المنشأة العامة للنشروالتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا، ط:5، 1985م.
20. فلسفات تربوية، سعيد إسماعيل علي، عالم المعرفة الكويت، د:ط،1995.
21. في ظلال القرآن، سيد قطب، بيروت، القاهرة، دار الشروق، طبعة جديدة مشروعة، 1976م.
22. القرآن وعلم النفس، مفتاح محمد عبد العزيز منشورات جامعة قار يونس 1997.
23. معجم مصطلحات التربية والتعليم، جرجس ميشال جرجس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1 2005.
24. معجم مفردات ألفاظ القرآن، (الأصفهاني)أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب، بيروت، نشر دار المعرفة.
25. منهج القرآن في تربية المجتمع، عبد الفتاح عاشور مكتبة الخانجي،1979م.
26. منهج القرآن الكريم في تقرير الأحكام، مصطفى الباجقني، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس، ليبيا،1984م.
27. موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجدي، دار الأنصار، القاهرة، د:ط ، 1979.

شبكة المعلومات الدولية

*- قصة لقمان الحكيم

* - ينظر: الأساليب التربوية في القرآن الكريم، عدنان الحموي، (شبكة المعلومات الدولية).